

أضواء البيان

@ 339 @ ومن ذلك القبيل تسمية جلدة الرأس فروة ، كما قدمنا في سورة (البقرة) في قول الشاعر : % (دنس الثياب كأن فروة رأسه % غرست فأنبت جانبها فلفلا) % .

7 ! 7 ! قوله تعالى : { فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ } . هذه الآية الكريمة من أكبر الأدلة التي يستدل بها القائلون : بأن المجاز في القرآن . زاعمين أن إرادة الجدار الانقضاء لا يمكن أن تكون حقيقة ، وإنما هي مجاز . وقد دلت آيات من كتاب الله على أنه لا مانع من كون إرادة الجدار حقيقة ، لأن الله تعالى يعلم للجملات إرادات وأفعالا وأقوالا لا يدركها الخلق كما صرح تعالى بأنه يعلم من ذلك ما لا يعلمه خلقه في قوله جل وعلا : { وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا لَئِنْ يُسْأَلْ بِهِ لَمُذْهَبٌ وَلَا كِنَ لَئِنْ تَفَقَّهُوْنَ تَسْبِيحَهُمْ } فصرح بأننا لا نفقه تسبيحهم وتسبيحهم واقع عن إرادة لهم يعلمها هو جل وعلا ونحن لا نعلمها . وأمثال ذلك كثيرة في القرآن والسنة .

فمن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى : { وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْهَقُّ فَإِنْخَرُجْ مِنْهُ } . فتصريحه تعالى بأن الماء وإن من الجبال لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ . فتصريحه تعالى بأن بعض الحجارة يهبط من خشية الله دليل واضح في ذلك . لأن تلك الخشية بإدراك يعلمه الله ونحن لا نعلمه . وقوله تعالى : { إِنْ نَزَّلْنَا غُرْضُذًا لَإِنَّ مَآئِنَهُ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبْيَدْنَ أَنْ يَحْمِلْنَ ذَلِكَ وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ } . فتصريحه جل وعلا بأن السماء والأرض والجبال أبت وأشفقت أي خافت دليل على أن ذلك واقع بإرادة وإدراك يعلمه هو جل وعلا ونحن لا نعلمه .

ومن الأحاديث الدالة على ذلك ما ثبت في صحيح مسلم : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إني لأعرف حجرا كان يسلم علي بمكة) وما ثبت في صحيح البخاري من حنين الجذع الذي كان يخطب عليه صلى الله عليه وسلم جزعا لفراقه فتسليم ذلك الحجر ، وحنين ذلك الجذع كلاهما بإرادة وإدراك يعلمه الله ونحن لا نعلمه ، كما صرح بمثله في قوله : { وَلَئِنْ لَئِنْ تَفَقَّهُوْنَ تَسْبِيحَهُمْ } . وزعم من لا علم عنده أن هذه الأمور لا حقيقة لها ، وإنما هي ضرب أمثال زعم باطل ، لأن نصوص الكتاب والسنة لا يجوز صرفها عن معناها الواضح المتبادر إلا بدليل يجب الرجوع إليه . وأمثال هذا كثيرة جدا . وبذلك تعلم أنه لا مانع من إبقاء إرادة الجدار على حقيقتها لإمكان أن يكون الله يعلم منه إرادة الانقضاء ، وإن لم يعلم خلقه تلك الإرادة . وهذا واضح جدا كما ترى . مع أنه من الأساليب المربية إطلاق

الإرادة على المقاربة والميل إلى الشيء . كما في قول الشاعر